

نُورُ الْعَيْنَيْنِ

فِي جَمَالِ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ ﷺ

تصنيف الأستاذ الدكتور

شهاب الدين محمد أبو زهو

أستاذ الحديث النبوي الشريف وعلومه

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف

أعده للنشر

أحمد بن عبد الرحمن شاكر

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ وَالْأَخْلَاقَ وَالْأَرْزَاقَ وَالْأَفْعَالَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى إِسْبَاغِ نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ بِالْإِفْضَالِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ الْمُخْتَصِّ بِحُسْنِ الشَّمَائِلِ، أَعْلَى الْعَالَمِينَ مَنْصِبًا، وأَنْفَسِهِمْ نَفْسًا وحَسَبًا، الْمَبْعُوثِ بشِيرًا وَنَذِيرًا، وداعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وسِرَاجًا مُنِيرًا، حَتَّى أَشْرَقَ الْوُجُودُ برِسَالَتِهِ ضِيَاءً وابتِهَاجًا، وَرَأَيْنَا النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الْمَوْصُوفِينَ بِالْفَوَاضِلِ وَالْفَضَائِلِ، وَعَلَى وَالتَّابِعِينَ لَهُم وأَتْبَاعِهِم الْعَامِلِينَ بِمَا ثَبَتَ عَنْهُ بِالدَّلَائِلِ، ثمَّ على مَنِ الْتَزَمَ الْعَمَلَ بِهَدْيِهِ الْعَظِيمِ الْمِقْدَارِ إِلَى يَوْمِ الْقَرَارِ، الَّذين تَنَاقَلُوا

أحادِيثَهُ وأخبَارَهُ، ونَوَّرُوا البلادَ والأَقْطَارَ بأنْوَارِ مَآثِرِهِ وآثَارِهِ، صَلَاةً وَسَلَامًا دائِمَيْنِ ما تَعَاقَبَ اللَّيْلُ والنَّهارُ، تُزَحْزِحُ قائِلَها عن النَّارِ، وتَمْحُو اسْمَهُ مِن ديوانِ الأشقياءِ إلى ديوانِ الأتقياءِ الأخيارِ.

وبعد، فإن نبيَّنا الأَنْوَرَ ﷺ قد حاز من درجات الكمال أكْمَلَها وأفْضَلَها، ومِن محاسِنِ الجمال أعلاها وأبْهاهَا، ولا عَجَبَ، فقد اختاره الله تعالى ليكون خاتَمَ النبيين، والكلمة الإلهية الأخيرة للإنس والجن أجمعين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا. وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٧].

وقد اختص الله تعالى نبيَّنا الأَنْوَرَ ﷺ بأنواعٍ من الفضـائل والخصـائص مـا لا يَصِـفُها لِسَـانٌ، ولا يَكْشِـفُ عـن حقائِقِهـا بيَـانٌ، ولا يَتَصَـوَّرُهَا عقْـلُ إنسانٍ ولا جانٍّ!

فسَيِّدُنَا رسولُ الله ﷺ أحسنُ خَلْق الله، وأجمَلُ خَلْـق الله، اجتمعَـتْ فيـه كـلُّ صـفاتِ الجمـال والحُسن، وأعلى درجاتِ الجمالِ والحُسن.

وهكـذا وصـفه أصـحابه رضي الله عنهم وهُـمُ الـذين اختصـهم الله تعـالى بصُـحْبَتِهِ، وتَفَضَّـلَ علـيهم بتَكْحِيلِ عيونِهم برؤيتِه، وامتن عليهم بمُعَايَنَةِ أنوارِه السَّنِيَّةِ، فوصَفُه أحدُهم فقال: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ

أَحْسَنَ مِنْهُ ﷺ»[1]، «لَمْ أَرَ قَبْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ أَحَدًا هُوَ أَجْمَلُ مِنْهُ»[2].

وقد قرَّرَ العلماء أنّه: «مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِهِ ﷺ: اعْتِقَادُ أَنَّهُ لَمْ يَجْتَمِعْ فِي بَدَنِ آدَمِيٍّ مِنَ الْمَحَاسِنِ الظَّاهِرَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَحَاسِنِهِ الْبَاطِنَةِ مَا اجْتَمَعَ فِي بَدَنِهِ ﷺ»[3]؛ فأحببتُ أن أُطْلِعَ نفْسِي والمسلمين على بارِقَةٍ مِن فَيْضِ أنوارِه ﷺ، ولَمْحَةٍ من سَنَاءِ جمالِهِ، كما نقَلَها لنا الصحابةُ الأطهارُ، وجَلَّاهَا لنا العلماءُ الأخيارُ، رضي الله عنهم أجمعين، فجمعتُ بعض ما وُصِفَ به نورُه ﷺ في هذه الرسالة المختصرة،

(١) «صحيح مسلم» (٧/٨٣ ط التركية).

(٢) «سنن النسائي» (٨/٢٠٣).

(٣) «جمع الوسائل في شرح الشمائل» (١/٩).

وسميَّتُهـا: (نُـورُ الْعَيْنَـيِنِ في جَمَـالِ سَـيِّدِ الكَـوْنِيْنِ والثَّقَلَـيْنِ ﷺ)، راجيًـا الله تعـالى أن تكـون هديـة كريمـةً واصـلةً إلى حضـرةِ سيِّدِنا الرسـول ﷺ، وأن يتقبلهـا بقبـولٍ حَسَـنٍ، وأن تكـون لي ولمـن قرأهـا ونشرَها قُرْبَى إليه، ووسيلةً لِشَرَفِ الجُلُوسِ بين يديْه، وذُخـرًا ننـالُ بهـا شـفاعته ﷺ، ونفـوز بمرافقتـه في جنات النعيم.

اللَّهُـمَّ اجْعَلْنَا سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وَأَوْلِيَاءَ مُخْلِصِينَ، وَرُفَقَـاءَ مُصَـاحِبِينَ لِسَـيِّدِ النَّبِيِّـينَ والـمُرْسَلِينَ، اللَّهُـمَّ بَلِّغْهُ مِنَّا السَّلَامَ، وَارْدُدْ عَلَيْنَا مِنْهُ السَّلَامَ.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[الصافات: ١٨٠-١٨٢]

تمهيد

قَالَ الْجُنَيْدُ بنُ محمَّدٍ (شيخ العارفين وقُدْوة السّائرين، وعَلَم الأولياء في زمانه، ت: ٢٩٨ ه):

«الطُّرُقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ عَلَى الْخَلْقِ إِلَّا مَنِ اقْتَفَى أَثَرَ الرَّسُولِ ﷺ وَاتَّبَعَ سُنَّتَهُ وَلَزِمَ طَرِيقَتَهُ، فَإِنَّ طُرُقَ الْخَيْرَاتِ كُلُّهَا مَفْتُوحَةٌ عَلَيْهِ»(١)؛ كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾.

[الأحزاب: ٢١]

---

(١) «طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات» (ص١٣٢)، «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٢٥٧/١٠)، «سير السلف الصالحين – قوام السنة» (١٠٩٧/٣)، «تلبيس إبليس» (ص١٢).

«اعلم -رحمني الله وإياك- أن الله ﷻ أنشأ النفوسَ مختلفةً، فمنها الغاية في جودة الجَوهر، ومنها المتوسط، ومنها الكَدِر، وفي كل مرتبة درجات [«لتظهر أسرارُ حكمته في الخَلْق»[1]]؛ فالأنبياء صلى الله عليهم وسلم هم الغاية، خُلقت أبدانهم سليمة من العيب، فصَلَحَتْ لحلول النَّفْس الكاملة، ثم يتفاوتون؛ فكان نبينا ﷺ أصلح الأنبياء مزاجًا، وأكملهم بدَنًا، وأصفاهم رُوحًا»[2].

«ثم هم يتفاوتون -أيضًا- في المراتب، ويتميَّز بعضهم على بعض في المناقب وعلوِّ المناصب،

(١) «خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب» (ص٣٢٤).

(٢) «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (٢/٥).

وكان نبيُّنَا محمد ﷺ أصحَّ الأنبياء مزاجًا، وأكملهم بدنًا، وأصفاهم رُوحًا، وبمعرفة ما نذكره من أحواله وأخلاقه وصفاته يتبين فضله، ولذلك قدَّمه الله تعالى على الكُل.

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم خلاصة الوجود، وواسطة العقود، وهم خيرة الخلائق، وصفوة الخالق، وهم في الفضل طبقات، وفي القدْر درجات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: من الآية ٥٥]، فكلٌ له رتبة لا يتعدَّاها، ومنزلة لا يدرك غيره مَداها، وغاية إذا بلغ منتهاها تناهى.

وجعل لمحمد ﷺ من الرَّتَب أعلاها، ومن المنازل أسماها، ومن المعجزات أعظمها وأقواها، ومن

الـمَنْقَبَاتِ أجملَها وأبهاها، ومن الفضائل أُولاها وأُخراها، ومن المحاسن أَوْلاها وأَحراها»[1].

و«اعلم أن **من تمام الإيمان** به ﷺ: الإيمانَ بأن الله تعالى جعل خَلْقَ بدَنِه الشريف على وجهٍ لم يَظهر قبْلَه ولا بَعْدَه خَلْقُ آَدَمِيٌّ مثْلَه، فيكون ما يشاهَد مِن خَلْقِ بدَنِه آياتٍ على ما يتضح لك من عظيم خَلْقِ نفْسِه الكريمة[2]، وما يتضح مِن عظيمِ أخلاقِ نفْسِه آياتٌ على ما تَحَقَّقَ له مِن سِرِّ قلْبِه المقَدَّسِ[3].

(١) «خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب» (ص٣٢٤).

(٢) أشار إلى أن المراتب ثلاث: المشاهد دليل على الباطن، وذلك الباطن دليل على ما أودع في قلبه من العلوم والمعارف. «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٥/٢٣٩).

(٣) أي: ما اشتمل عليه من المعاني البديعة، فوصف المعاني بكونها مكنونة لا يُطَّلَع عليها، ولكن يستدل عليها بما ظهر من أخلاقه وكمالاته، وهو ﷺ وإن =

وللهِ دَرُّ الإمامِ البُوصِيرِيّ[1] حيث قال:

مُحَمَّـــدٌ سَـــيِّدُ الكَـــوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْـــ
ـــنِ والفَـرِيقَيْنِ مِـنْ عُـرْبٍ وَمِـنْ عَجَـمِ
هُــوَ الحَبِيــبُ الــذِّي تُرْجَــى شَـفَاعَتُهُ
لِكُــلِّ هَــوْلٍ مِــنَ الأَهْــوَالِ مُقْــتَحِمِ
فَــاقَ النَبِيّـــينَ فِي خَلْــقٍ وَفِي خُلُــقٍ
وَلَمْ يُـــدَانُوهُ فِي عِلْـــمٍ وَلاَ كَـــرَمِ

ظهر منه كمالات لا تحصى، فهي بالنسبة لما خفي، كنقطة من بحر. «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٥/٢٣٩).

(١) محمد بن سعيد الصنهاجي، دلاصي المولد، مغربي الأصل، بوصيري المنشأ، ولد بدلاص سنة ثمان وستمائة، وبرع في النظم. قال فيه الحافظ ابن سيد الناس: هو أحسن من الجزار والوراق، ومات سنة خمس، أو أربع وتسعين وستمائة، كان أحد أبويه من بوصير الصعيد، والآخر من دلاص -بفتح الدال المهملة: قرية بالبهنسا، فركبت النسبة منهما، فقيل: الدلاصيري، ثم اشتهر بالبوصيري، لنشأته بها، أو لأنها بلد أبيه، فقوله: الأبوصيري منتقد؛ لأن القرية إنما هي بوصير، والنسبة إليها البوصيري، كما في المراصد واللباب، ولبه في باب الموحدة لا الهمزة «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٥/٢٣٩).

فَهْـــوَ الـــذِّي تَمَّ مَعْنَـــاهُ وَصُـــورَتُهُ
ثُمَّ اصْـــطَفَاهُ حَبِيبًـــا بَـــارِئُ النَّسَـــمِ

مُنَـــزَّهٌ عَـــنْ شَـــرِيكٍ فِي مَحَاسِـــنِهِ
فَجَـــوْهَرُ الحُسْـــنِ فِيـــهِ غَيْـــرُ مُنْقَسِـــمِ

دَعْ مَـــا ادَّعَتْـــهُ النَّصَـــارَى فِي نَبِـــيِّهِمِ
وَاحْكُـــمْ بِمَا شِئْتَ مَـدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِمِ

وَانْسُـبْ إِلَى ذَاتِهِ مَـا شِئْتَ مِـنْ شَرَفٍ
وَانْسُـبْ إِلَى قَـدْرُهُ مَـا شِئْتَ مِـنْ عِظَـمِ

فَـــإِنَّ فَضْـــلَ رَسُـــولِ اللهِ لَـــيْسَ لَـــهُ
حَـــدٌّ فَيُعْـــرِبَ عَنْـــهُ نَـــاطِقٌ بِفَـــمِ[1]

---

(١) فهو الذي "تَمَّ": كمل، "معناه": حالُ باطِنِه، "وصُورَتُه": حالُ ظاهِرِه، "ثم اصطفاه": اختاره: "حبيبًا بارئُ": خالق، "النَّسَمِ": جمع نَسَمة -بفتحتين: وهي الإنسان، وثم للترتيب في الأخبار، نظرًا لمَا قَبْلَ وجودِه، فإنه في الأزل تَعَلَّقَ علْمُه بكمالِه معنًى وصُورةً، وإنه حبيبه، فهو ترتيب في الأخبار دون الصفات؛ أو في الاصطفاء، نظرًا للوجود الخارجي، فإنه اتخذه حبيبًا، ومخاطبته به بعد تمام معناه، وصورتِه.

=

=

"منزه": مبعَد، "عن شريك في محاسنه": جمع محسن، بمعنى: الحسن، أي: لا شريك له في حسنه، "فجوهر الحسن": أصله، "فيه غير منقسم": متفرق.

ومعنى البيتين: هو الذي كمل باطنه في الكمالات، وظاهره في الصفات، ثم اختاره خالق الإنسان حبيبًا، لا شريك له في الحسن، وجوهره لا يقبل القسمة بينه وبين غيره، كما أنَّ الجوهر الفرد المتوهم في الجسم، ويقول المتكلمون: الجسم مركَّب منه؛ غير منقسم بوجه، لا بالفرض، ولا بالوهم، ومن كان موصوفًا بكمال الصفات ظاهرًا وباطنًا كان محبوبًا.

يعني: حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه؛ لأنه الذي تَمَّ معناه دون غيره، وهي غير منقسمة بينه وبين غيره، وإلّا لما كان حسنه تامًّا؛ لأنه إذا انقسم لم ينله إلّا بعضه فلا يكون تامًّا، فحاصله: إن الانقسام المنفي أن يعطَى نوعًا من الحسن، وغيرُه آخرَ منه، فيكون منقسمًا بينهما، بل أعطي ﷺ أعلى الصفات اللائقة بالبشر، وشاركه غيره في الاتّصاف ببعضها، فيكون ذلك البعض مشتركًا، وتميز المصطفى بالزيادة التي لم يؤتها غيره، كما قال ابن المنير وغيره في حديث: "أُعْطِيَ يوسفُ شَطْرَ الحُسْنِ"، يتبادر إلى بعض الأفهام أنَّ الناس يشتركون في البعض الآخر، وليس كذلك، بل المراد أنه أوتي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا ﷺ، فإنه بلغ الغاية ويوسف شطرها.

"دع": اترك، "ما ادَّعته النصارى"، جمع نصران، كسُكَارى جمع سكران، أو نسبة إلى قرية تسمَّى ناصرة، وقيل: إنها قرية المسيح، أو الياء في نصرانيّ للمبالغة، سمّوا نصارى لنصرهم عيسى، "في نبيهم"، كقولهم: ابن الله وثالث ثلاثة؛ لنهي نبينا

=

وفى الأثـر: أن خالـد بـن الوليـد رضي الله عنه خـرج في سَرِيَّةٍ من السَّرَايَا، فنَزَلَ ببعضِ الأحياءِ، فقال له سَيِّدُ ذلك الحَيّ: صِفْ لنَا محمَّدًا.

فقال: أَمَّا إني أُفَصِّلُ فَلَا[1]!

ﷺ عن مثل ذلك بقوله: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، وَلَكِنْ قُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ"، وبعد ذلك "احكم": اقصد، "بما شئت مدحًا": ثناءً حسنًا، "فيه واحتكم": اختصم، أي: خاصِمْ في إثبات فضائله من شئت من الخصماء، "وانسُب": اعزُ، "إلى "ذاته": حقيقةً، "ما شئت من شرف": عِزٍّ، "وانسُب إلى قدره": مَبْلَغِه، "ما شئت من عِظَم": تعظيمٍ ورفعةٍ، فقد وجدتَ للقول سعةً؛ فإن فضل رسول الله ﷺ "ليس له حَدّ": غاية يوقَف عندها، "فيُعرب": يُبَيِّن، "عنه ناطق": فاعل، "بِفَمِ": متعلق بناطق على تقدير مضاف، أي: بلسان فم؛ إذ أوصافُه لا تحصى، وفضائلُه لا تُستقصَى.

يعني: إن المُدَّاح وإن انتهَوْا إلى أقصى الغايات والنهايات لا يصلون إلى شَأْوِهِ وغايتِه وأمَدِه؛ إذ لا حَدَّ له حتى يَصِلُوا إليه. «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٥/٢٣٩).

(١) "أما إني أفصّل فلا" لعجزي عن التفصيل؛ لأن صفاته لا يمكن الإحاطة بها. «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٥/٢٤٠).

فقال الرجل: أَجْمِلْ[1].

فقال: الرسولُ على قدر المرسِل[2].

فمن ذا الذي يَصِلُ قدْرُه أن يَقْدُرَ قدْرَ الرسول، أو يَبْلُغَ مِن الاطلاعِ على مأثورِ أحوالِه المأمولَ والمسئولَ؟!

---

(١) "أَجْمِلْ"، أي: اذكرها مجملة.

(٢) ذكره ابن المنير في "أسرار الإسراء". «أي: حالة تليق به، وهو رسول الله، بعثه لتبليغ أحكامه، فمن لازمه أنه بالغ الغاية، فكل ما تصور فيه من كمال دون ما ثبت له، فإن الملك إذا بعث رسولًا لقضاء ما يريد، إنما يرسل من يقدر على ذلك؛ بحيث يكون ذا مرتبة شريفة، وتصرُّف تام، ولا يلزم منه مساواته لبقية الرسل؛ لأن عموم رسالته ونسخها لشرائع من قبله، يقتضي رتبة زائدة عليهم، أولًا: ضرر في المشاركة؛ لأنه من حيث الإجمال». «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٥/ ٢٤٠).

وقد حكى القرطبي [المفسِّر]، عن بعضهم أنه قال: لَمْ يَظْهَرْ لنَا تمامُ حُسْنِه ﷺ[1]؛ لأنَّه لو ظَهَرَ لنا تمامُ حُسْنِه لمِا أطاقَتْ أعينُنَا رؤيتَهُ ﷺ.

ولقد أَحسن الإمام البوصيري حيث قال:

أَعْيَا الوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى
فِي القُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ
صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ
قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالحُلُمِ

(١) «قال محمد بن عبد الجليل القصري في شعب الإيمان: وحسن يوسف وغيره جزء من حسنه ولولا أن الله تعالى ستر جماله بالهيبة والوقار وأعمى عنه آخرين لما استطاع أحد النظر إليه بهذه الأبصار الدنياوية الضعيفة». «ضوء الشموع شرح المجموع» (٤/٤٣٦).

فَمَبْلَـــغُ العِلْـــمِ فِيـــهِ أَنَّـــهُ بَشَـــرٌ
وَأَنَّـــهُ خَيْـــرُ خَلْـــقِ اللهِ كُلِّهِـــمِ

وَكُـــلُّ آيٍ أَتَـــى الرُّسْـــلُ الكِـــرَامُ بِهَـــا
فَإِنَّمَـــا اتَّصَـــلَتْ مِـــنْ نُـــورِهِ بِهِـــمِ

فَإِنَّـــهُ شَمْـــسُ فَضْـــلٍ هُـــمْ كَوَاكِبُهَـــا
يُظْهِـــرْنَ أَنْوَارَهَـــا لِلنَّـــاسِ فِي الظُّلَـــمِ

أَكْـــرِمْ بِخَلْـــقِ نَـــبِيٍّ زانَـــهُ خُلُـــقٌ
بِالْحُسْـــنِ مُشْـــتَمِلٌ بِالْبِشْـــرِ مُتَّسِـــمِ[1]

---

(١) "أَعْيَا" أعجز "الورى" الخلق "فَهْمُ" معرفةُ "معناه" حالِه، فليس يُرَى"، يُبْصَر "للقرب والبُعد فيه، غيرُ منفحِمِ"، من انفحم إذا سكتَ عن الجدال، ولم يُجِب، "كالشمس تظهر للعينين من بُعُد" بضم العَيْن- لغةً، لا تبعًا لضم الباء، ضد قُرْب، "صغيرةً" قدْرَ التُّرس "وتُكِلُّ" بضَمٍّ فكَسْرٍ: تُوقِف "الطرْف" البصر عند رؤيتها "من أَمَم" بفتح الهمزة والميم الأولى، أي: قُربٍ لو فُرِضَ ذلك لكِبَرِها جدًّا، فتكاد تخطف الطرْف وتُعمِيه، فلا تُدرَك لكمالها، وكذلك المصطفى لا يُدرَك، معناه: في حالَتَي القُرب والبعد، وإن شوهدت صورته. «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٥/٢٤٢).

وهذه التشبيهات الواردة في حقِّه ﷺ إنما هي على سبيلِ التقريبِ والتمثيل، وإلا فذَاتُه أعلَى، ومَجْدُه أغْلَى[1]، وَلِذَا قِيلَ: «مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِهِ اعْتِقَادُ أَنَّهُ لَمْ يَجْتَمِعْ فِي بَدَنِ آدَمِيٍّ مِنَ الْمَحَاسِنِ الظَّاهِرَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَحَاسِنِهِ الْبَاطِنَةِ مَا اجْتَمَعَ فِي بَدَنِهِ ﷺ»[2].

«وسِرُّ ذلك: أن المحاسن الظاهرة آياتٌ على المحاسن الباطنة، والأخلاقِ الزكِيِّة، ولا أكمَلَ منه، بل ولا مُسَاوٍ له في هذا المدلول، فكذلك في الدَّالِّ»[3].

(١) «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٢/٥).

(٢) «جمع الوسائل في شرح الشمائل» (١/٩).

(٣) «أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل» (ص٣٢).

«وإن شئتَ مَدَحْتَه ووصَفْتَه بما يَليق ويختص به، فوَصْفُه أنه جَمَعَ الكمالاتِ كلَّها إلا ما اختَّص بمرتبة الألوهية، ورحم الله البوصيري في قوله:

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمِ
وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِمِ

وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
وَانْسُبْ إِلَى قَدْرُهُ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَم

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ
حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَم

وهذا هو الحَدُّ في وصِفِه ﷺ»[1].

وقد اجتمعت في سيدنا رسول الله ﷺ (صفاتُ الكمال الباطني، وجميعُ مكارم الأخلاق، وبلَغَ

(١) «لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح» (٩/٣٩٧).

أقصى الغايات في هذه الصفات، وكان ذلك بحيث لم تَظهر صفةٌ أو تَطغَى على حسابِ صفةٍ أخرى.

اجتمعَتْ له أيضًا:

١- جميعُ صفاتِ الجمال، والكمال، والحُسن الظاهري.

٢- وبلَغَ في كلِّ صفةٍ من هذه الصفات أعلى درجاتها.

٣- وظهَرَتْ فيه جميعُ هذه الصفات على نحوٍ متناسقٍ حتى عُرف بجميع هذه الصفات، فلم تظهر فيه صفةٌ على حساب أخرى.

إنه كمالُ الصفات في الموصوف ﷺ، فسيدنا رسول الله ﷺ أحسنُ خَلْق الله، وأجمَلُ خَلْق الله،

اجتمعَتْ فيه كلُّ صفاتِ الجمال والحُسن، وأعلى درجاتِ الجمالِ والحُسن.

وما أحسَنَ قولَ القائل:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي
وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدْ النِّسَاءُ

خُلِقْتَ مُبَرَّءًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ
كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ[1]

«وكيف لا! وهو خِيرَةُ اللهِ وصَفْوَتُه وإبداعُه وصَنْعَتُه؟ صَنَعَهُ على عَيْنِه، ورَبَّاهُ على هَدْيِه ونَهْجِه، ونَقَّاهُ مِن كلِّ شَوْبٍ، وبَرَّأَهُ مِن كلِّ عَيْبٍ»[2].

(١) "الجمع والتحرير في صفات البشير النذير" (٦٠٣/٢) د. أحمد عدوي.

(٢) «الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين» (ص٣٥).

أخبر ﷺ أنه دعوةُ أبيه إبراهيم عليه السلام، كما في الحديث عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي عَبْدُ اللهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ[1]: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ تَرَيْنَ»[2]، «إِنَّ أُمَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ»[3].

---

(١) أي: بأول ما ظهر من أمر نبوتي.

(٢) «مسند أحمد» (٢٨/٣٧٩ ط الرسالة) وصححه محققوه.

(٣) «مسند أحمد» (٢٨/٣٨٢ ط الرسالة) وصححه محققوه.

دعوة إبراهيم عليه السلام: بقوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[البقرة:١٢٩]

وبشارة عيسى عليه السلام: بقّوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

[الصف: ٦]

وفي السيرة: «وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ الشَّامِ»[1].

---

(١) «سيرة ابن هشام ت السقا» (١/١٦٦)، و«صحيح ابن حبان» (١٤/٣١٣)، و«المستدرك على الصحيحين للحاكم» (٢/٦٥٦) وقال: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذهبي.

والظاهر أن أُمَّه عليه الصلاة والسلام رأت هذا النور مرتين؛ إحداهما منامًا: حِينَ حَمَلَتْ بِه. والأخرى رؤيا بصرٍ: حِينَ وَضَعَتْهُ، ويؤيده قولُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رضي الله عنه: أَخْبَرَتْنِي أُمِّي، قَالَتْ: «شَهِدْتُ آمِنَةَ لَمَّا وَلَدَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا ضَرَبَهَا الْمَخَاضُ[1] نَظَرْتُ إِلَى النُّجُومِ تَدَلَّى، حَتَّى إِنِّي أَقُولُ لَتَقَعَنَّ عَلَيَّ، فَلَمَّا وَلَدَتْ، خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهُ الْبَيْتُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ وَالدَّارُ، فَمَا شَيْءٌ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، إِلَّا نُورٌ»[2] والله أعلم.

---

(١) المَخَاضُ : وجَعُ الولادة، وهو الطَّلْقُ. والطَّلْقُ: الآلام الناتجة عن تقلصات الرحم التي تسبق الولادة.

(٢) «المعجم الكبير للطبراني» (١٤٧/٢٥)، و(١٨٦/٢٥).

ونُورُ النبي ﷺ حسيٌّ ومعنويٌّ: قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥- ١٦].

مدح الله تعالى رسوله، وما جاء به من الخير والهدى، فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾، والمراد بالنور هنا: محمد ﷺ فهو نور الأنوار، كما يقول الأُلُوسي.

والمراد بالكتاب: القرآن الكريم الذي أنزله تعالى على نبيه ﷺ.

قال ابن جرير ما ملخصه: «قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ

لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: قَدْ جَاءَكُمْ يَا أَهْلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنَ اللَّهِ نُورٌ، يَعْنِي بِالنُّورِ مُحَمَّدًا ﷺ، الَّذِي أَنَارَ اللَّهُ بِهِ الْحَقَّ، وَأَظْهَرَ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَمَحَقَ بِهِ الشِّرْكَ فَهُوَ نُورٌ لِمَنِ اسْتَنَارَ بِهِ يُبَيِّنُ الْحَقَّ».

قوله: «﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾، يَعْنِي: كِتَابًا فِيهِ بَيَانُ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ بَيْنَهُمْ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ جَمِيعَ مَا بِهِمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ وَيُوَضِّحُهُ لَهُمْ، حَتَّى يَعْرِفُوا حَقَّهُ مِنْ بَاطِلِهِ»[١].

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (٨/٢٦٣).

ويرى بعض المفسرين أن المراد بالنور وبالكتاب هنا: القرآن الكريم.

وقد اقتصر على هذا التفسير صاحب "الكشاف" فقال: "قوله: ﴿قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ﴾ يريد القرآن؛ لكشفه ظلمات الشرك والشك، ولإبانته ما كان خافيًا عن الناس من الحق، أو لأنه ظاهر الإعجاز".

ويبدو لنا أن ما ذهب إليه ابن جرير أرجح، لأن العطف في الغالب يقتضي المغايرة في الذات؛ إذ الرسول ﷺ قد جاء للناس برسالة هي نورٌ في شخصه ﷺ، كما جاءهم بالقرآن الكريم الدال على صدقه في رسالته.

ثم بين ﷻ الغاية من رسالته ﷺ فقال تعالى:

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾:

والضمير في قوله ﴿بِهِ﴾ يعود إلى مجموع ما ذُكر، أو إلى الكتاب المبين باعتباره أقرب مذكور.

[«وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ طُرُقَ السَّلَامِ، وَالسَّلَامُ هُوَ اللَّهُ عَزَّ ذِكْرُهُ. أي: سَبِيلَ اللَّهِ الَّذِي شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَابْتَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ عَمَلًا إِلَّا بِهِ، لَا الْيَهُودِيَّةَ، وَلَا النَّصْرَانِيَّةَ، وَلَا الْمَجُوسِيَّةَ»][1].

والمعنى: قد جاءكم -يا معشر أهل الكتاب- من الله نور وكتاب مبين، يهدى الله تعالى بذلك،

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (٨/٢٦٥).

أو بالكتاب ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ﴾، أي: مَن عَلِم ﷻ منه أنه يريد اتباع ما يَرضَي؛ بأن يُخْلِص له العبادة، ويستجيبَ للحق الذي أرسل به أنبياءه، فإنه متى كان كذلك، أَوْصَله ﷻ إلى ﴿سُبُلَ السَّلامِ﴾ أي: إلى طرق السلامة والنجاة من كل خوف وشقاء، بأن يثبِّتَه في الدنيا على طريق الحق، ويكرمه في الآخرة بمثوبته وجَنَّتِه.

هذه هي الثمرة الأولى من ثمارِ اتباعِ ما جاء مِن عند الله مِن نور وكتاب مبين.

أما الثمرة الثانية فقد بينها ﷻ بقوله: ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾.

أي: ويخرج ﷻ هؤلاء الأخيار الذين عَلِم منهم اتباعَ ما يُرضيه يخرجهم من ظلمات الكفر

والضلال إلى نور الحق والإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: بإرادته وعلمه.

[مِن «ظلمات الكفر والبدعة والمعصية، والجهل والغفلة، إلى نور الإيمان والسنة والطاعة والعلم، والذكر. وكل هذه الهداية بإذن الله، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن»][1].

أي: ويهدى ﷻ هؤلاء الذين علم منهم اتباع ما يرضيه إلى صراطٍ مستقيم، وطريقٍ قويم لا اعوجاج فيه ولا اضطراب، وهو طريق الإسلام الذي يوصل إلى الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة[2].

(١) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٢٦).

(٢) «التفسير الوسيط لطنطاوي» (٤/٩٠).

و«قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: سبيل الله، لأن الله هو السلام، ومعناه دين الله، وهذا قول الحسن.

والثاني: طريق السلامة من المخافة، وهو قول الزجاج»[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٦] «تأويلان، أحدهما: طريق الحق وهو دين الله، وهذا قول الحسن. والثاني: طريق الجنة في الآخرة، وهو قول بعض المتكلمين»[2].

---

(١) «تفسير الماوردي = النكت والعيون» (٢/٢٢).

(٢) «تفسير الماوردي = النكت والعيون» (٢/٢٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا. وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾.

[الأحزاب: ٤٥ - ٤٧]

«قوله: ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من التبشير، وهو الإخبار بالأمر السار لمن لا علم له بهذا الأمر.

وقوله: ﴿وَنَذِيرًا﴾ من الإنذار، وهو الإخبار بالأمر المخيف لكي يجتنب ويحذر.

والمعنى: يا أيها النبي الكريم ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ إلى الناس ﴿شَاهِدًا﴾ أي: شاهدًا لمن آمن منهم بالإيمان، ولمن كفر منهم بالكفر، بعد أن بلغتهم رسالة ربك تبليغًا تامًّا كاملًا، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أي: ومبشرًا المؤمنين منهم برضا الله تعالى، ﴿وَنَذِيرًا﴾

أي: ومنذرًا للكافرين بسوء العاقبة، بسبب إعراضهم عن الحق الذي جئتهم به من عند الخالق عَزَّوَجَلَّ.

وقدَّم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التبشيرَ على الإنذار، تكريمًا للمؤمنين المبشرين، وإشعارًا بأن الأصل في رسالته ﷺ التبشير، فقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين.

وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ﴾ أي: وأرسلناك -أيضًا- داعيًا للناس إلى عبادة الله تعالى وحده، وهذه الدعوة لهم منك كائنة بإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبأمره وبتيسيره، فالتقييد بقوله ﴿بِإِذْنِهِ﴾ لبيان أنه ﷺ لم يدع الناس إلى ما دعاهم إليه من وجوب إخلاص العبادة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من تلقاء نفسه، وإنما دعاهم إلى ذلك بأمر الله تعالى وإذنه ومشيئته، وللإشارة إلى

أن هذه الدعوة لا تؤتى ثمارها المرجوة منها إلا إذا صاحبها إذنٌ الله تعالى للنفوس بقبولها.

وقوله: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ السراج: المصباح الذي يستضاء به في الظلمات.

أي: وأرسلناك -أيها الرسول الكريم- بالدين الحق، لتكون كالسراج المنير الذي يهتدى به الضالون، ويخرجون بسببه من الظلمات إلى النور.

ووصَفَ السِّرَاجَ بالإنارة؛ لأن من المصابيح ما لا يُضِيء إذا لم يوجَد به ما يُضيئه مِن زيتٍ أو ما يشْبِهه.

قال الزَّمَخْشَرِيُّ: جَلَّى الله تعالى بنبيِّه ﷺ ظلماتِ الشرك، فاهتدى به الضالون، كما يُجَلَّى ظلامُ الليل بالسراج المنير ويُهتدَى به.

أو: أمَدَّ اللهُ بنورِ نُبُوَّتِه نُورَ البصائر، كما يُمَدُّ بنُورِ السراج نُورُ الأبصار.

ووصَفَهُ بالإنارة؛ لأنَّ مِن السُّرُجِ ما لا يُضِيء إذا قَلَّ زيتُه، ودَقَّتْ فَتِيلَتُه»[1].

«قال في حقِّ نبيِّه ﷺ: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]) أي شمسًا مضيئًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾، ففيه تنبيهٌ لنَبِيِّه ﷺ على أن الشمس أعلى الأنوار الحسية، وأنَّ سائرَها[2] مستفيضٌ منها، فكذلك النبي عليه السلام أعلى الأنوار المعنوية، وأنَّ باقيها[3] مستفيدٌ منه بحُكْمِ

(١) «التفسير الوسيط لطنطاوي» (١١/٢٢٢).

(٢) أي الأنوار الحسية.

(٣) أي الأنوار المعنوية.

النسبةِ الواسطية والمرتبة القُطْبِيَّة في الدائرة الكُلِّية، وأمَّا الحقُّ فهو في المقام المطْلَق.

سُمِّيَ بما ذُكِر مِن النورِ والسِّراج المنير؛ لوضوحِ أمرِ رسالتِه، وبيانِ نبوَّتِه، وتنويرِ قلوبِ المؤمنين عمومًا، والعارفين خصوصًا بما جاء به، وما ظَهَرَ لهم مِن الأنوار والأسرار بسببِه»[١].

قال كَعْبُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى الشَّاعِرُ[٢]:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

---

(١) «شرح الشفا» (١/٥٠٩).

(٢) «جمهرة أشعار العرب» (ص٦٤٠)، «المستدرك على الصحيحين للحاكم» (٣/٦٧٠)، «معرفة الصحابة لأبي نعيم» (١/٤، ٢، ٧)، «تفسير الماوردي = النكت والعيون» (٤/٤١١).

فَقَـــدْ أَتَيْـــتُ رَسُـــولَ اللهِ مُعْتَـــذِرًا
وَالْعُـــذْرُ عِنْـــدَ رَسُـــولِ اللهِ مَقْبُـــولُ

إِنَّ الرَّسُـــولَ لَنُـــورٌ يُسْتَضَـــاءُ بِـــهِ
وَصَـــارِمٌ مِـــنْ سُـــيُوفِ اللهِ مَسْـــلُولُ

«يستضاء بِهِ: يُهتَدَى بِهِ إِلَى الْحقِّ. ويُرْوَى: «لَسَيْفٌ» فِي مَكَان «لَنُورٌ»، وَقد كَانَت عَادَة الْعَرَب إِذا أَرَادوا استدعاءَ مَن حَولَهُمْ مِن الْقَوْمِ أَنْ يُشْهِروا السَّيْفَ الصَّقِيلَ، فيَبْرُقُ، فَيَظْهَرُ لمِعَانُهُ مِن بُعْدٍ فَيَأْتُونَ إِلَيْهِ، مهتدينَ بنُورِه، مُؤْتَمِّينَ بهُداهُ. شَبَّهَ الرَّسُولَ بذلك.

والـمُهَنَّد: السَّيْفُ الـمَطبُوع فِي الْهِنْد، وسيوفُ الْهِنْدِ قَدِيمًا أحسنُ السيوف.

وَمِن سيوف الله: أَي مِن سيوفٍ عَظَّمَها اللهُ بنَيْلِ الظَّفَر والانتقام.

والمَسْلُول: المُخْرَج مِن غِمْدِه»[1].

إنه «ﷺ كَانَ نُورًا كلُّه فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فَمَنِ الْتَمَسَ مِنْهُ نُورًا وَجَدَهُ عَلَى أَي جِهَةٍ الْتَمَسَهُ»[2].

وثبت أنه ﷺ سأل اللهَ تعالى أن يجعل في جميع أعضائه وجِهاتِه نُورًا، وخَتَم ذلك بقوله: «واجعلني نورًا»؛ فتحصل تسعَ عشْرةَ دعوةً[3]، وتزيد كما في رواياتٍ أخرى إلى خمسٍ وعشرين دعوةً[4]، وقد

---

(١) هامش «سيرة ابن هشام ت السقا» (٢/٥١٢).

(٢) «الاعتصام للشاطبي ت الشقير والحميد والصيني» (٢/٣٠٣).

(٣) كما في رواية «صحيح مسلم» (٢/١٨١ ط التركية): «وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَتَئِذٍ تِسْعَ عَشْرَةَ كَلِمَةً».

(٤) قال في «النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم» (ص٢١): «فهذه ثلاثة وعشرون، منها في صحيح مسلم سبع عشرة دعوة، والباقي صحَّتْ مِن طُرقٍ سِواه». وقال في «فتح الباري لابن حجر» (١١/١١٨): «وَيَجْتَمِعُ مِنِ اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ كَمَا قَالَ ابن الْعَرَبِيِّ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ خَصْلَةً».

تتبعتها فوجدتُها قد وصلت إلى ستٍّ وعشرين دعوةً: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي عَيْنِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَفِي عَصَبِي نُورًا، وَفِي لَحْمِي نُورًا، وَفِي عَظْمِي نُورًا، وَفِي دَمِي نُورًا، وَفِي شَعَرِي نُورًا، وَفِي بَشَرِي نُورًا، وَفِي مُخِّي نُورًا، وَفِي قَبْرِي نُورًا، وعند لقائِك نُورًا، وعلى الصراطِ نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وأَعْطِنِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا، وَهَبْ لِي نُورًا عَلَى نُورٍ، وَاجْعَلْنِي نُورًا».

«هَذِهِ الْأَنْوَارُ يُمْكِنُ حَمْلُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، فَيَكُونُ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لَهُ فِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْ

أَعْضَائِهِ نُورًا يَسْتَضِيءُ بِهِ مِنْ ظُلُمَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ هُوَ وَمَنْ يَتْبَعُهُ، أَوْ مَنْ شَاءَ اللهُ مِنْهُمْ.

وَالْأَوْلَى: أَنْ يُقَالَ هِيَ مُسْتَعَارَةٌ لِلْعِلْمِ وَالْهِدَايَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ، فَتَأَمَّلْ، فَإِنَّهُ لَا مَنْعَ.

وَالتَّحْقِيقُ فِي مَعْنَاهُ: أَنَّ النُّورَ يُظْهِرُ مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِهِ، فَنُورُ السَّمْعِ مُظْهِرٌ لِلْمَسْمُوعَاتِ، وَنُورُ الْبَصَرِ كَاشِفٌ لِلْمُبْصَرَاتِ، وَنُورُ الْقَلْبِ كَاشِفٌ عَنِ الْمَعْلُومَاتِ، وَنُورُ الْجَوَارِحِ مَا يَبْدُو عَلَيْهَا مِنْ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ.

وَمَعْنَى طَلَبِ النُّورِ لِلْأَعْضَاءِ عُضْوًا عُضْوًا: أَنْ يَتَحَلَّى كُلُّ عُضْوٍ بِأَنْوَارِ الْمَعْرِفَةِ وَالطَّاعَةِ، وَيَتَعَرَّى

عَنْ ظُلْمَةِ الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَإِنَّ ظُلُمَاتِ الْجُمْلَةِ مُحِيطَةٌ بِالْإِنْسَانِ مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَالشَّيْطَانُ يَأْتِيهِ مِنَ الْجِهَاتِ السِّتِّ بِالْوَسَاوِسِ وَالشُّبُهَاتِ، أَيِ: الْمُشَبَّهَاتُ بِالظُّلُمَاتِ، فَرَفْعُ كُلِّ ظُلْمَةٍ بِنُورٍ، وَلَا مُخَلِّصَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِأَنْوَارٍ تَسْتَأْصِلُ شَأْفَةَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَفِيهِ إِرْشَادٌ لِلْأُمَّةِ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: أَرَادَ بِالنُّورِ ضِيَاءَ الْحَقِّ، يَعْنِي: اسْتَعْمِلْ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ مِنِّي فِي الْحَقِّ، وَاجْعَلْ تَصَرُّفِي وَتَقَلُّبِي فِيهِمَا عَلَى سَبِيلِ الصَّوَابِ.

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا»، قِيلَ: هُوَ مَا يَتَبَيَّنُ بِهِ الشَّيْءُ وَيَظْهَرُ، وَالتَّنْوِينُ لِلتَّعْظِيمِ، أَيْ: نُورًا عَظِيمًا، وَقَدَّمَ الْقَلْبَ؛ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَلِكِ الْمَالِكِ.

«وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا»، أَيْ: فِي جَانِبِي، أَوْ فِي جَارِحَتِي.

«وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي[1]، نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا»: فِي إِيرَادِ عَدَمِ حَرْفِ الْجَرِّ فِي هَذِهِ الْجَوَانِبِ إِشَارَةٌ إِلَى تَمَامِ الْإِنَارَةِ وَإِحَاطَتِهَا؛ إِذِ الْإِنْسَانُ يُحِيطُ بِهِ ظُلُمَاتُ الْبَشَرِيَّةِ، وَلَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْهَا إِلَّا بِالْأَنْوَارِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَإِنَّمَا خَصَّ الْقَلْبَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ بِـ (فِي) الظَّرْفِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَقَرُّ الْفِكْرِ فِي آلَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَالْبَصَرَ مَسَارِحُ النَّظَرِ فِي آيَاتِ اللهِ الْمَنْصُوبَةِ

(١) أَيْ: قُدَّامِي.

الْمَبْثُوثَـــةِ فِي الْآفَــاقِ وَالْأَنْفُــسِ، وَالسَّــمْعَ مَحَــطُّ آيَاتِ اللهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللهِ.

وَالْيَمِينَ وَالشَّمَالَ خُصَّا بِـ (عَنْ) لِلْإِيذَانِ بِتَجَاوُزِ الْأَنْـوَارِ عَـنْ قَلْبِـهِ وَبَصَـرِهِ وَسَمْعِـهِ إِلَى مَـنْ عَـنْ يَمِينِـهِ وَشِمَالِهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ.

وَعُزِلَـتْ: فَـوْقَ، وَتَحْـتَ، وَأَمَـامَ، وَخَلْـفَ، مِـنَ "الْجَــارَّةِ"؛ لِتَشْــمَلَ اسْـتِنَارَتَهُ وَإِنَارَتَــهُ مَعًــا مِــنَ اللهِ وَالْخَلْقِ.

«وَعَصَبِي»؛ لِأَنَّ بِهِ قَوَامَ الْبَدَنِ، «وَلَحْمِي»؛ لِأَنَّ بِــهِ نُمُــوَّهُ وَزِيَادَتَــهُ، «وَدَمِــي»؛ لِأَنَّ بِــهِ حَيَاتَــهُ، «وَشَــعَرِي»[1]؛ لِأَنَّ بِــهِ جَمَالَــهُ، «وَبَشَــرِي»، أَيْ:

---

(١) بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِهَا.

جِلْدِي؛ لِأَنَّهُ الَّذِي امْتَازَ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنْ بَدَنِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ.

ثُمَّ أَجْمَلَ بِقَوْلِهِ: «وَاجْعَلْ لِي نُورًا »، فَذْلَكَةً[1] لِذَلِكَ. أَيْ: إِجْمَالًا لِذَلِكَ التَّفْصِيلِ، أَرَادَ بِهِ نُورًا عَظِيمًا جَامِعًا لِلْأَنْوَارِ كُلِّهَا.

ثم ختَمَ بقوله: «وَاجْعَلْنِي نُورًا» وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْكُلِّ»[2].

«سأل النورَ في أعضائِه وجِهَاتِهِ؛ ليزداد في أفعاله وتصرفاته ومتقَلَّبَاتِه نورًا على نورٍ، فهو دعاءٌ بدوامِ ذلك، فإنه كان حاصلًا له لا مَحَالَة، أو هو تعليمٌ لأمته.

(١) وَفَذْلَكَةُ الشَّيْءِ: جَمْعُهُ. مَأْخُوذٌ مِنْ فَذْلَكَ، وَهُوَ مَصْنُوعٌ كَالْبَسْمَلَةِ.

(٢) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/٩٠٥) بتصرف وتقديم وتأخير.

أما النور الذي عن يمينه فهو المؤيِّد له والْمُعِينُ على ما يطلبه من النور الذي بين يديه.

والنور الذي عن يساره: فنُورُ الوقاية.

والنور الذي خَلْفَه: هو النور الذي يسعى بين يدَيْ مَن يَقتدي به ويَتَّبِعُه، فهو لهم مِن بين أيديهم، وهو له ﷺ من خَلْفِه فيتبعونه على بصيرة، كما أنه المتَّبِع على بصيرة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

وأما النور الذي فوقه: فهو تَنَزُّلِ نورٍ إلهيٍّ قدُسيٍّ، بعِلْمٍ غريبٍ لمْ يتقَدَّمْهُ خبَرٌ ولا يُعطِيه نَظَرٌ، وهو الذي يُعْطَي مِن العلْمِ بالله ما تَرُدُّه الأدلةُ

العقليـة إذا لم يكـن لهـا إيمـانٌ، فـإنْ كـان لهـا إيمـانٌ نُورانيٌّ قَبِلْتَهُ بتأويلٍ للجمع بين الأمرين»[1].

(١) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (١٠/٥٤٢).

جمال النبي ﷺ ونُورُه في عيون أصحابه ﵃

- عَــنْ أَنَــسٍ ﵁، قَــالَ: «كَــانَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ»[1].

- عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ ﵁ قَـالَ: «مَـا رَأَيْـتُ شَـيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسول اللهِ ﷺ؛ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ»[2].

«شَبَّهَ جَرَيَانَ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا بِجَرَيَانِ الْحُسْنِ فِي وَجْهِهِ ﷺ، وَفِيهِ عَكْسُ التَّشْبِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ.

(١) «صحيح البخاري» (١٨٧/٤ ط السلطانية)، «صحيح مسلم» (٨١/٧ ط التركية).

(٢) «سنن الترمذي» (٣٣/٦ ت بشار) وقال: «حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، «مسند أحمد» (٥٠٦/١٤ ط الرسالة) وحسنه محققوه.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ تَنَاهِي التَّشْبِيهِ جَعْلُ وَجْهِهِ مقرًّا وَمَكَانًا لِلشَّمْسِ»[1].

- سُئِلَ الْبَرَاءُ ﵁: أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: «لَا بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ»[2].

«فِي السَّيْف طُولٌ، وَفِي الْقَمَر تدويرٌ، وَالْقَمَرُ يُوصَفُ بالْحُسنِ مَا لا يُوصَفُ السَّيْفُ، فَلذَلِك عَدَلَ إِلَى تشبيهِه بالقَمَر»[3]. «وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ مِثْلَ السَّيْفِ فِي اللَّمَعَانِ وَالصِّقَالِ، فَقَالَ: بَلْ

(١) «فتح الباري لابن حجر» (٦/٥٧٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٤/١٨٨ ط السلطانية).

(٣) «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٢/٢٥٥).

فَوْقَ ذَلِكَ، وَعَدَلَ إِلَى الْقَمَرِ لِجَمْعِهِ الصِّفَتَيْنِ مِنَ التَّدْوِيرِ وَاللَّمَعَانِ»[1].

- عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلُ السَّيْفِ؟ قَالَ: «لَا بَلْ مِثْلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مُسْتَدِيرًا»[2].

«وَإِنَّمَا قَالَ: مُسْتَدِيرًا لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ جَمَعَ الصِّفَتَيْنِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ مِثْلَ السَّيْفِ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الطُّولَ أَوِ اللَّمَعَانَ، فَرَدَّهُ الْمَسْئُولُ رَدًّا بَلِيغًا.

وَلَمَّا جَرَى التَّعَارُفُ فِي أَنَّ التَّشْبِيهَ بِالشَّمْسِ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ غَالِبًا الْإِشْرَاقُ، وَالتَّشْبِيهُ بِالْقَمَرِ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الْمَلَاحَةُ دُونَ غَيْرِهِمَا؛ أَتَى بِقَوْلِهِ وَكَانَ مُسْتَدِيرًا،

---

(١) «فتح الباري لابن حجر» (٦/٥٧٣).

(٢) «صحيح مسلم» (٧/٨٦ ط التركية).

إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ التَّشْبِيهَ بِالصِّفَتَيْنِ مَعًا: الْحُسْن والاستدارة»[1].

- قَالَ الْبَرَاءُ بنُ عازِبٍ: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ﷺ»[2]، «لَمْ أَرَ قَبْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ أَحَدًا هُوَ أَجْمَلُ مِنْهُ»[3]. ورُوي نحوه عن عليٍّ ﷺ، قال: «لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بعده مثله ﷺ»[4].

- عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ، عَنِ امْرَأَةٍ مِنْ هَمْدَانَ، قَالَتْ: حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

---

(١) «فتح الباري لابن حجر» (٦/٥٧٣).

(٢) «صحيح مسلم» (٧/٨٣ ط التركية).

(٣) «سنن النسائي» (٨/٢٠٣).

(٤) «الشمائل المحمدية للترمذي ط المكتبة التجارية» (ص٣١)، ورُوي نحو هذا القول عن عمر وأبي هريرة وأنس وأبي أمامة وغيرهم ﷺ، انظر ذلك مفصلا في "الجمع والتحرير في الصفات الخَلْقية للبشير النذير" (٢/٥٩٧).

فَقُلْتُ لَهَا: شَبِّهِيهِ. قَالَتْ: «كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ»[1].

«وجْهُ التشبيه بالقمر دُونَ الشمس: لأنَّ القمر يملأ الأرض بنُورِه، ويؤنِسُ كلَّ مَن يشاهده، أي: يسكن قلبُه إليه، ولا يَنفِرُ منه، وهو يجمع النورَ مِن غيرِ أذىً، ويتمكَّن مِن النظرِ إليه، بل قد يَسْتَلِذُّهُ، بخلافِ الشمسِ التي تَغْشَي البصرَ فتمنَعُ مِن تَمَكُّنِ الرؤية، ولا يُؤْنَسُ إليها لِشْدَّةِ حَرِّها.

والتشبيه بالبدر أبلَغُ في العُرْفِ مِن التشبيه بالقمر؛ لأنه وقْتُ كمالِه، كما كان الفاروق [عُمَرُ

(١) «المعرفة والتاريخ - ت العمري - ط العراق» (٣/٢٨٢)، وفي إسناده: «يونس بن أبي يعفور العبدي، ضعفه أحمد، وابن معين، والنسائي. الميزان (٤/٤٨٥)».

بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ قَوْلَ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى][1] حين رآه أو كلما رآه:

لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ
كُنْتَ الْمُنَوِّرَ[2] لَيْلَةَ الْبَدْرِ

وقد صادف هذا التشبيهُ بالبدر معناه الحقيقي، وهو ما وُضِعَ له الاسمُ، "فمِن أسمائِه ﷺ: البَدْر"؛ لتمامِ كمالِه وعلُوِّ شرَفِه»[3].

- «وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، اسْتَقْبَلَهُ الْأَنْصَارُ وَخَرَجَ إِلَيْهِ الْفِتْيَانُ بِالدُّفُوفِ وَهُمْ يُنْشِدُونَ:

---

(١) «دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني» (ص٦٣٨).

(٢) أي: القمر.

(٣) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٢٥٨/٥).

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعِ»[1]

- عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ، وَكَانَ وَصَّافًا، عَنْ حِلْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ بِهِ، فَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخْمًا مُفَخَّمًا[2]، يَتَلَأْلَأُ وَجْهُهُ تَلَأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»[3].

«فَخْمًا مُفَخَّمًا: أي معظَّمًا في صدور الصدور، وعيون العيون، لا يستطيع مكابر ألا يعظِّمه، وإن حرص عليه خالَفَ باطنَه.

(١) «الحاوي الكبير» (١٧/١٩٥)، «دلائل النبوة للبيهقي» (٢/٥٠٧).

(٢) اكتب الحاشية هنا

(٣) «الشمائل المحمدية للترمذي ط المكتبة التجارية» (ص٣٥).

أو: فَخْمًا، عظيم القدر عند صحبه، مُفَخَّمًا عند من لم يره قط، فهو عظيم أبدًا.

أو: فَخْمًا عند الله، مُفَخَّمًا عند الخَلق.

وعليها [أي هذه الأقوال]: فليست الفخامة في الجسم. وقيل: هو المراد [أي: الفخامة في الجسم].

ففخامة الوجه: امتلاؤه بالجمال والمهابة، أو كثرةُ لحْمِ الوَجْنَتَيْن مع كمالِ الجمال.

وبدأ الوَصَّافُ بالوْجَهِ دُونَ الهَامَة [أعلى الرأس]؛ لأنه أوّلُ ما يتوَجَّهُ إليه النظرُ، وأشرَفُ ما في الإنسان وغيرِه»[1].

(١) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٢٥٦/٥).

- قَالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ لِزَوْجِهَا، بعدما نزل النبي ﷺ على خيمتها أثناء رحلة الهجرة: مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ. قَالَتْ «رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ[1]، أَبْلَجَ الْوَجْهِ[2]، وَسِيمٌ قَسِيمٌ[3]، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ[4]، وَفِي

---

(١) الوَضَاءَةُ: الحُسْنُ، والجَمَالُ. ويقال: الصَّبَاحَةُ [الجَمَالُ] في الوَجْهِ. الوَضَاءَةُ في البَشَرَةِ. «تُرِيدُ: ظَاهِرَ الْجَمَالِ». «دلائل النبوة للبيهقي» (٢٨٣/١).

(٢) «تُرِيدُ: مُشْرِقُ الْوَجْهِ مُضِيئُهُ». «دلائل النبوة للبيهقي» (٢٨٣/١).

(٣) الْوَسَامَةُ: الحُسْنُ الوَضِيءُ الثَّابِت. و«القَسَامُ: الجَمالُ، ورجُلٌ مُقَسَّم الوَجْه [أي: جميل]، كَأَنَّ كلَّ مَوضِع منه أخذَ قِسْمًا من الجَمالِ: أي جَمِيلٌ كلُّه»، «كَأَن الْمَعْنى: أَخذ كل مَوضِع مِنْهُ من الْجمال قِسْمًا، فَهُوَ جميل كُله لَيْسَ فِيهِ شَيْء يستقبح». «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» (٧٠٩/٢)، و«الفائق في غريب الحديث» (٩٨/١)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٦٣/٤). «وَالْقَسِمَةُ: الْوَجْهُ، وَهُوَ أَحْسَنُ مَا فِي الْإِنْسَانِ». «مقاييس اللغة» (٨٦/٥).

(٤) الدعج: السوَاد فِي الْعين وَغَيرهَا. «شرح السنة للبغوي» (٢٦٧/١٣).

أَشْـفَارِهِ وَطَـفٌ[١]، وَفِي عُنُقِـهِ سَـطَعٌ[٢]، إِنْ صَـمَتَ فَعَلَيْـهِ الْوَقَـارُ[٣]، وَإِنْ تَكَلَّـمَ سَمَـا[٤]، [«أَو سَمَـاهُ»[٥]] وَعَـلَاهُ الْبَهَـاءُ[٦]، أَجْمَـلُ النَّـاسِ وَأَبْهَـاهُ مِـنْ بَعِيـدٍ، وأَحْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ[٧]». قَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: هَذَا

---

(١) «وَطـف أَي: طـول، يقَـالَ: وَطـف، فَهُـوَ أَوْطَـفُ، ويـروى عطـف وغطـف بِالْعينِ والغين جَمِيعًا، وَالْمرَاد مِنْهُ الطول». «شرح السنة للبغوي» (١٣/٢٦٧).

(٢) أي: طولٌ في نورٍ.

(٣) أَيِ: الْهَيْبَـةُ عَلَيْـهِ فِي حَـالِ صَـمْتِهِ وَسُـكُوتِهِ. «البدايـة والنهايـة ط هجـر» (٨/٤٤٥).

(٤) تُرِيدُ: عـلا بِرَأْسِـهِ، وارتفـع مـن جُلَسَـائِهِ. والسُّـمُوُّ: العُلـوُّ. «أَيْ: عَـلَا عَلَـى النَّـاسِ» «شـرح السـنة للبغـوي» (١٣/٢٦٧)، «البدايـة والنهايـة ط هجـر» (٨/٤٤٥)، «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/٤٠٥).

(٥) «غريب الحديث لابن قتيبة» (١/٤٦٣).

(٦) «عَلَاهُ الْبَهَاءُ: أَيْ فِي حَالِ كَلَامِهِ». «البداية والنهاية» (٨/٤٤٥).

(٧) أَيْ: هُوَ مَلِيحٌ مِنْ بَعِيدٍ وَمِنْ قَرِيبٍ. «البداية والنهاية ط هجر» (٨/٤٤٥). (٨/٤٤٥).

وَاللهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذِي ذُكِرَ لَنَا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذُكِرَ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَصْحَبَهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا»[1].

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ وَهْبٍ الْمَذْحِجِيِّ: «فَبَلَغَنِي أَنَّ أَبَا مَعْبَدٍ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَأَنَّ أُمَّ مَعْبَدٍ هَاجَرَتْ وَأَسْلَمَتْ»[2].

- «وَكَانَ ﷺ، أَجْلَى الْجَبِينِ[3]، إِذَا طَلَعَ جَبِينُهُ مِنْ بَيْنِ الشَّعْرِ أَوِ اطَّلَعَ فِي فَلَقِ الصُّبْحِ أَوْ عِنْدَ

---

(١) «الطبقات الكبرى ط دار صادر» (١/٢٣٠)، «المعجم الكبير للطبراني» (٤/٤٩)، «المستدرك على الصحيحين للحاكم» (٣/١٠) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذهبي.

(٢) «دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني» (ص٣٤٠)، «البداية والنهاية ط هجر» (٨/٤٤٣).

(٣) «الأَجْلَى: الحَسَن الوجْهِ الأنْزَع»، «وَالنَّزَعَةُ: الْمَوْضِعُ مِنْ رَأْسِ الْأَنْزَعِ، وَهُوَ الَّذِي انْحَسَرَ شَعرُهُ عَنْ جَانِبَيْ جَبْهَتِهِ»، «وجَبْهَةٌ جَلْوَاءُ: وهي الوَاسِعَةُ الحَسَنَةُ».

=

طَفَلِ[1] اللَّيْلِ، أَوْ طَلَعَ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّاسِ، تَرَاءَوْا جَبِينَهُ كَأَنَّهُ ضَوْءُ السِّرَاجِ الْمُتَوَقِّدِ يَتَلَأْلَأُ.

وَكَانُوا يَقُولُونَ: هُوَ ﷺ، كَمَا قَالَ شَاعِرُهُ حسّان بن ثابت:

مَتَى يَبْدُ فِي الدَّاجِ الْبَهِيمِ جَبِينُهُ
يَلُحْ مِثْلَ مِصْبَاحِ الدُّجَى الْمُتَوَقِّدِ

فَمَنْ كَانَ أَوْ مَنْ قَدْ يَكُونُ كَأَحْمَدٍ

=«وَرجل أجلى وَامْرَأَة جلواء إِذا انحسر مقدم وجههما من الشّعْر»، «ويستحب من الجبهة اتساعُها من غير إفراط»؛ فجبينُه ﷺ جمع بين الحُسن والجمال والاتساع. «مقاييس اللغة» (٥/٤١٥). «المخصص» (١/٢٣٤)، «المحيط في اللغة» (٢/١٣٦ بترقيم الشاملة آليا)، «جمهرة اللغة» (١/٤٩٣). «لوامع الدرر في هتك أستار المختصر» (٥/٤٥٠).

(١) «بفتح المهملة والفاء، يعني ظلمته». «لوامع الدرر في هتك أستار المختصر» (٥/٤٥٠).

نِظَـــامٌ لِحَـــقٍّ أَوْ نَكَـــالٌ لِمُلْحِـــدِ[1]

- عَـنْ جَـابِرِ بْـنِ سَمُـرَةَ رضي الله عنه قَـالَ: «رَأَيْـتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ[2]، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِلَى الْقَمَرِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، فَإِذَا هُوَ عِنْدِي [فِي عَيْنِي][3] أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ»[4].

«قَيَّدَ بقَوْلِه: [«هُوَ عِنْدِي فِي عَيْنِي»] افتخارًا باعتقاده، لا لتخصيصه دُونَ غيرِه؛ فإنَّه "أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ" في عَيْنَيِ كلِّ مَن رآهُ ﷺ»[5].

---

(١) «دلائل النبوة للبيهقي» (١/٢٠٣).

(٢) أي: ليلةٌ مُقْمِرةٌ مضيئةٌ لا غَيْمَ فيها.

(٣) «مسند الدارمي - ت حسين أسد» (١/٢٠٣).

(٤) «سنن الترمذي» (٤/٥٠٣ ت بشار) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

(٥) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٥/٢٥٠).

- عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: «سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ»[1].

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِ، إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ»[2].

- قَالَ ابْنُ عُمَرَ ﵄: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْجَدَ، وَلَا أَجْوَدَ، وَلَا أَشْجَعَ، وَلَا أَضْوَأَ وأَوْضَأَ[1] مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[2].

---

(١) «صحيح البخاري» (١٨٩/٤ ط السلطانية)، «صحيح مسلم» (١١١/٨ ط التركية).

(٢) «مسند الدارمي - ت حسين أسد» (٢٠٣/١).

- عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ: صِفِي لَنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: «يَا بُنَيَّ لَوْ رَأَيْتَهُ، رَأَيْتَ الشَّمْسَ طَالِعَةً»[٣].

- عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁: أَنَّهُ «سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ الْآخِرَةَ حِينَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَذَلِكَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَتَشَهَّدَ وَأَبُو بَكْرٍ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، قَالَ: كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللهِ

=

(١) الضوء: النور. والوضاءة: الحُسن والجمال.

(٢) «مسند الدارمي - ت حسين أسد» (٢٠٤/١).

(٣) «مسند الدارمي - ت حسين أسد» (٢٠٤/١).

ﷺ حَتَّى يَدْبُرَنَا[1]، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ آخِرَهُمْ، فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ هَدَى اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ»[2]، «فَاعْتَصِمُوا بِهِ؛ تَهْتَدُوا كَمَا هَدَى اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ»[3].

- عَنْ أَنَسٍ ﷺ، «أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ كَانَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ حِنْدِسٍ[4]، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ

---

(١)«يَدْبُرُنَا»، أَيْ: يَتَقَدَّمُهُ أَصْحَابُهُ وَهُوَ يَخْلُفُهُمْ [بعد موتِهم]، يُقَالُ: دَبَرَ يَدْبُرُ دُبْرًا وَدُبُورًا: إِذَا تَبِعَ الأَثَرَ «أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)» (٤/٢٣٣٨)، «شرح السنة للبغوي» (١٠/٨٠).

(٢) «صحيح البخاري» (٩/٨١ ط السلطانية).

(٣) «صحيح ابن حبان» (١٥/٢٩٧)، «مسند الشاميين للطبراني» (٤/١٥٥).

(٤) الحِنْدِس: الشديدةُ الظُّلمة.

عِنْدِهِ أَضَاءَتْ عَصَا أَحَدِهِمَا فَكَانَا يَمْشِيَانِ بِضَوْئِهَا، فَلَمَّا تَفَرَّقَا أَضَاءَتْ عَصَا هَذَا وَعَصَا هَذَا»[1].

وفي رواية البخاري: عَنْ أَنَسٍ ﵁: «أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَإِذَا نُورٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا حَتَّى تَفَرَّقَا، فَتَفَرَّقَ النُّورُ مَعَهُمَا»[2].

«فَكَانَا يَمْشِيَانِ بِضَوْئِهَا: إكرامًا لهما ببركة نبيهما، آية له صلى الله عليه وسلم، إذ خص بعض أتباعه بهذه الكرامة عند الاحتياج إلى النور وإظهار السر»[3].

(١) «مسند أحمد» (٢٠/٢٩٥ و ٢١/٣٥١ ط الرسالة)، وصححه محققوه.

(٢) «صحيح البخاري» (٥/٣٦ ط السلطانية).

(٣) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٧/٨٩).

أنوار النبي ﷺ مضيئةٌ

في وجوهِ أهلِ الحديث النبوي

كلٌّ مَن اعتنى بالحديث النبوي الشريف له حظٌّ من النور النبوي بقدْرِ عنايتِه بِه، و«هُمُ الَّذِينَ امْتَثَلُوا أَمْرَهُ ﷺ بِالتَّبْلِيغِ عَنْهُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَنْفَذُوا فِي ذَلِكَ أَعْمَارَهُمْ، وَاسْتَفْرَغُوا جَهْدَهُمْ وَبَادَرُوا إِلَى مَا رَغِبَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الأَمْرِ الْجَسِيمِ، حَيْثُ دَعَا لَهُمْ بِالنَّضْرَةِ وَالنَّعِيمِ، وَكَفَاهُمْ هَذَا الدُّعَاءُ شَرَفًا، بَوَّأَهُمُ اللهُ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا، وَلَقَّاهُمُ الْفَوْزَ الْعَظِيمَ»[1].

- عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا

(١) «إثارة الفوائد» (١/٧٣).

حَدِيثًا فَحَفِظَهُ [فَوَعَاه] حَتَّى يُبَلِّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ [إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْه]، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهٍ. وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ».

- قَالَ سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَطْلُبُ الْحَدِيثَ إِلَّا وَفِي وَجْهِهِ نَضْرَةٌ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ»[1]. «يعني: أنها دعوةٌ أجيبت»[2].

- قال الْقَاضِي أَبو الطَّيِّبِ طَاهِر بْن عَبْدِ اللهِ الطَّبَرِيّ[3] رحمه الله: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ،

---

(١) «شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي» (ص١٩).

(٢) «المعين على تفهم الأربعين ت دغش» (ص٧٠).

(٣) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٧/٦٦٨)

الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، القَاضِي، أَبُو الطَّيِّبِ طَاهِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ الطَّبَرِيُّ، الشَّافِعِيُّ، فَقِيْهُ بَغْدَادَ. ت: ٤٥٠ هـ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْتَ قُلْتَ: "نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا"، وَتَلَوْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ، وَوَجْهُهُ ﷺ يَتَهَلَّلُ، فَقَالَ لِي: "نَعَمْ أَنَا قُلْتُهُ"»[1].

«نَضَرَهُ ونَضَّرَهُ وأَنْضَرَهُ: أَيْ نَعَّمَه. وَيُرْوَى بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ (نَضَرَ، نَضَّرَ) مِنَ النَّضارة، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ: حُسنُ الْوَجْهِ، والبَرِيقُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ حَسَّن خُلُقَه وقَدْرَه»[2].

---

(١) «إثارة الفوائد» (٧٨/١)، «موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر» (٣٧٧/١).

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٧١/٥).

«ورجَّحَ بعضهم التخفيف، لكن التشديد أكثَرُ -كما قاله النَّوَوِيُّ-، ومعناه: "حَسَّنَهُ وجَمَّلَهُ"»[1].

«ويحتمل [هذا الحديث] وجهين:

«أحدهما: يكون في معنى: أَلْبَسَه اللهُ النَّضْرَةَ، وهي الحُسْن وخُلُوص اللَّون، فيكون تقديرُه: جَمَّلَه اللهُ وزَيَّنَه.

والوجه الثاني: أنْ يكون في معنى: أَوْصَلَه اللهُ إلى نَضْرَةِ الجَنَّة، وهي نَعْمَتُها[2] وغَضَارتُها[3]؛ قال الله ﷻ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾

(١) "الأربعون" (٩٠) باب ضبط المشْكِلات، «المعين على تفهم الأربعين ت دغش» (ص٦٩).

(٢) النَّعمة، بالفتح: اسم من التنعُّم والتمتع، وهو النعيم.

(٣) الغضارة: النعمة والخير، والسعة في العيش، والخصب والبهجة.

[المطففين:٢٤]، وقال: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان:١١]»[١].

«وهذا الدعاء من النبي ﷺ لا بُدَّ مِن نَيْلِ برَكَتِه. ووعْدُهُ بالنَّضَارة للمُبَلِّغِ حَثٌّ على التبليغ، وحَضٌّ على الإنذارِ به، حَسْبَ قولِه تعالى: ﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾[٢] [الأنعام: ١٩]، والتبليغُ فرْضٌ على الكفاية»[١].

---

(١) «المحدث الفاصل ت أبو زيد» (ص١٤١)، «موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر» (١/٣٧٨)، «مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود» (٢/٩٠٠).

(٢) «فَمَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ: لِأُنْذِرَكُمْ بِالْقُرْآنِ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ وَأُنْذِرُ مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ»، «تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (٩/١٨٤). «أي: من بلغه القرآن من الخلق فرسول اللَّه نذيره»، «تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (٤/٨). «أي: أن الله- تعالى-: قد أنزل هذا القرآن عن طريق وحيه الصادق، لأنذركم به يا أهل مكة، ولأنذر به- أيضا- جميع من بلغه هذا الكتاب الكريم ووصلت إليه دعوته من العرب والعجم في كل زمان ومكان إلى يوم =

- عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِ اللهِ، فَمَنْ بَلَغَتْهُ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ فَقَدْ بَلَغَهُ أَمْرُ اللهِ»(٢).

- قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: «حَقٌّ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ كَالَّذِي دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنْ يُنْذِرَ كَالَّذِي أَنْذَرَ»(٣).

=

القيامة. فهذه الجملة تدل على عموم بعثة النبي ﷺ كما تدل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله، وتعم- أيضا- الذين وجدوا بعد نزوله وبلغتهم دعوته. ولم يروا النبي ﷺ». «التفسير الوسيط لطنطاوي» (٥/٥٢).

(١) «فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب» (١/٢٣٨).

(٢) «تفسير عبد الرزاق» (٢/٤٤)، «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/١٢٧٢).

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/١٢٧٢)، «تفسير ابن كثير ت السلامة» (٣/٢٤٥).

قال تعالى آمرًا رسوله المصطفى ﷺ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾.

[الأنعام:١٩]

أي: أن مَن بَلَغَهُ القرآنُ فهو مخاطَبٌ به، سواء أكان من العَرب أم كان من العَجَم، وكأنه خاطَبَه النبيُّ ﷺ.

- رُوِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قال: «مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَكَأَنَّمَا بَلَغَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ»(١).

وإن هذا النص يستفاد منه أمران:

(١) «تفسير مجاهد» (ص٣٢٠)، «سنن سعيد بن منصور - بداية التفسير ١ - ٥ ت الحميد» (٥/٧).

أولهما: أن مَن لَم يَبْلُغْهُ القرآنُ ولا يَعلم عنه شيئًا، فإنه لَا يُعتبَر قد بَلَغَتْهُ الدعوةُ الإسلامية، وإثْمُه على الذين تَقَاصَرُوا عن تبليغِها وبيانِها.

ثانيهما: أنه لَا معذرة لمِن يَعرف القرآنَ، في الكفرِ بالحقائقِ الإسلامية.

ولكن كيف التبليغُ بالقرآنِ، والعُجْمَةُ سائدةٌ في هذا الوجود سواء أكانت إنجليزية أو فرنسية أو غيرهما؟

والجواب عن ذلك:

أنه يجب في سبيل الدعوة إلى الإسلام؛ التي هي فرْضُ كفايةٍ على المسلمين؛ يأْثَمُ المسلمون جميعًا إن لم يَكُنْ دعاةٌ إلى الإسلام - يَجب عليهم أن تُفَسِّرَ طائفةٌ مخلِصَةٌ مؤمنةٌ فاهمةٌ القرآنَ تفسيرًا موجَزًا تُبَيِّنُ

معانِيَــه، ويُتَــرْجَمُ ذلــك التفســيرُ إلى كــلِّ لغــةٍ أعجميةٍ)[1].

اللهم صلّ على محمد عبدِك ورسولِك النبيِّ الأمي، وعلى آلِ محمدٍ وأزواجِه أمهاتِ المؤمنين، وذريتِه وأهلِ بيته، كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ في العالمين، إنك حميد مجيد.

وبارِكْ على محمدٍ عبدِك ورسولِك النبيِّ الأمي، وعلى آلِ محمدٍ وأزواجِه أمهاتِ المؤمنين، وذريتِه وأهلِ بيته، كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ في العالمين، إنك حميد مجيد.

---

(١) «زهرة التفاسير» (٥/٢٤٦٣).

وكما يليقُ بعظيمِ شَرَفِه وكمالِه ورضاكَ عنه، وما تُحبُّ وتَرْضَى له، دائمًا أبدا، عددَ معلوماتِك، ومِدادَ كلماتِك، ورِضا نفسِك، وزِنَةَ عرشِك، أفضلَ صلاةٍ وأكملَها وأَتَمَّها، كُلما ذَكَرَكَ وذَكَرَه الذاكرون، وغَفَلَ عن ذِكْرَك وذِكْرِه الغافلون، وسلِّمْ تسليمًا كذلك، وعلينا معهم.

- اللهم صل على سيدنا محمد صلاةً تُنْجِينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتفرج بها عنا جميعَ الكربات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات، وتطهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنا بها إلى أعلى الدرجات، وتُبَلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وَأَوْلِيَاءَ مُخْلِصِينَ، وَرُفَقَاءَ مُصَاحِبِينَ لِسَيِّدِ النَّبِيِّينَ والْمُرْسَلِينَ، اللَّهُمَّ بَلِّغْهُ مِنَّا السَّلَامَ، وَارْدُدْ عَلَيْنَا مِنْهُ السَّلَامَ.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]

تحياتي الزاكيات

شهاب الدين محمد أبو زهو

أستاذ الحديث النبوي